

سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ

الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ (209) ﴾

شرح الكلمات:

{فَإِنْ زَلَلْتُمْ} : وقعتم في الزلل وهو الفسق

والمعاصي. الزَّلَّة هي المعصية

{الْبَيِّنَاتُ} المعجزات الظاهرات، والآيات

الواضحات

المعنى الإجمالي :

فقد تضمنت أعظم تهديد وأشد وعيد لمن أزله الشيطان فقبل بعض شرائع الإسلام ولم يقبل البعض الآخر، وقد عرف أن الإسلام حق، وشرائعه أحق فقال تعالى: {فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ} يحملها كتاب الله القرآن وبينها رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الله سينتقم منكم؛ لأنه تعالى غالب على أمره حكيم في تدبيره وإنجاز وعده ووعيد.

فإن ملتم عن الحق وابتعدتم عن الإسلام من بعد ما جاءكم الآيات الواضحات والحجج البينات، فاعلموا أن الله غالب على أمره ولا يعجزه الانتقام منكم، حكيم لا يترك ما تقتضيه الحكمة من مؤاخذة المذنب.

والمعنى العام للآية: فإن تنحيتم عن طريق الحق، وعدلتم عنه إلى الباطل، من بعد أن ظهرت لكم الأدلة المفرقة بين الصواب والخطأ، والتي تدعوكم إلى اتباع طريق الحق، فاعلموا أن الله عَزِيزٌ لا يقهر ولا يعجزه الانتقام ممن زل حَكِيمٌ لا يترك ما تقتضيه الحكمة وإنما يضع الأمور في مواضعها.

وربما قال الوالد لولده: إن عصيتي فأنت عارف بي وأنت تعلم قدرتي عليك وشدة سطوتي. فيكون هذا الكلام- في الزجر- أبلغ من ذكر الضرب وغيره.

فظهر تسبب الجزاء في الآية بما أشعر به من الزجر والتهديد على الشرط المشير إلى ذنبهم وجرمهم. أي إياكم أن تظنوا أنكم بزللكم أخذتم حظوظ أنفسكم من الله، فإن مرجعكم إلى الله وهو عزيز وعزته سبحانه هي أنه يغلب ولا يُغلب، فهو يدبر أمورنا برحمة وحكمة.

ولقد رحم الله الخلق بإرسال الرسل ليبينوا للإنسان الطريق الصحيح من الطريق المعوج.

من ذا الذي لم تصدر منه زلّة؟ ومن الذي لم يقع منه هفوة؟ ومن لم يقع في معصية؟ وقد قال المصطفى صلى الله عليه وسلم:

((والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء

بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم))

[رواه مسلم في صحيحه].

ولقد صوّر ابن مسعود رضي الله عنه حال المؤمن مع المعصية تصويراً بليغاً دقيقاً فقال: (إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرّ على أنفه فقال به بيده فطار).

للمعصية أثر ظاهر لمن تأمل وأنار الله بصيرته، دل على ذلك النصوص الشرعية والواقع المشاهد.

فمن هذه الآثار:

1- حرمان العلم، فهو نور يقذفه الله في القلب والمعصية تطفئه، قال مالك رحمه الله للشافعي لما رأى فطنته وذكاءه: "إني أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية".

2- ومن الآثار حرمان الرزق كما في الأثر: ((إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه)) أحمد.

3- ومنها وحشة يجدها العاصي في قلبه، بينه وبين الله، وبينه وبين الناس، وكلما قويت هذه الوحشة بعد عن مجالسة أهل الخير وقرب من حزب الشيطان وأهله.

4- ومنها تعسير الأمور فكما أن من يتق الله يجعل له من أمره يسراً فبخلافه من عصى الله.

5- ومنها ظلمة يجدها العاصي في قلبه تقوى هذه الظلمة حتى تظهر على الوجه يراها كل أحد قال ابن عباس : (إن للحسنة ضياء في الوجه ونوراً في القلب، وإن للسيئة سواداً في الوجه وظلمة في القلب والقلب).

6- ومنها حرمان الطاعة.

7- ومنها أن المعصية تورث الذل، فأبى الله إلا أن يذل من عصاه من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً.

8- ومنها سوء الخاتمة، فإن العبد قد نخونه جوارحه أحوج ما يكون إليها، وأعظم من ذلك أن يخونه قلبه ولسانه عند احتضاره وقرب وفاته.

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَاَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (193)



فَوَائِدُ مِنْ تَفْسِيرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ 209

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

أَعَدَّهَا (عزمي إبراهيم عزيز)

11-الذين يحترقون الذنوب فقد يشعر أحدهم بالندم ويعزم على التوبة، لكنها عزيمة باردة ضعيفة سرعان ما تنهار مرةً أخرى أمام دواعي المعصية.

12-إن استعظام الذنوب يولد عند صاحب الذنب الاستغفار والندم والتوبة، أما أولئك الذين يحترقون الذنوب فيأثم وإن عزموا على التوبة كانت العزيمة باردة، لأن داعي التوبة ضعيف.

13-ما أحسن ما قال الإمام الشوكاني رحمه الله: "اعلم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما من أعظم عُمد الدين لأن بهما حصول مصالح الدنيا والآخرة فإن كانا قائمين قام بقيامهما سائر الأعمدة الدينية والدنيوية. أما إذا كان هذان الركنان العظيمان غير قائمين إلا قياماً صورياً لا حقيقياً فيالك من بدع تظهر، ومن منكرات تستبين، ومن معروف يستخفي ومن جولان العصاة وأهل البدع تقوى وترتفع، ومن ظلمات بعضها فوق بعض تظهر في الناس، ومن هرج ومرج في العباد يبرز للعيان وتقرّ به عين الشيطان، عند ذلك يكون المؤمن كالشاة العائرة، والعاصي كالذئب المفترس، وهذا بلا شك ولا ريب يمحو رسوم هذا الدين، وحينئذ يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً ويعود الدين غريباً كما بدأ". اهـ.

14-علاج المعاصي

1-الخوف من الله تعالى.

2-صدق التوجه إلى الله وسؤاله الهداية.

3-مجاهدة النفس وفطمها عن شهواتها.

4-العزيمة الصادقة على مفارقة المعاصي.

5-الإكثار من النوافل والطاعات.

6-مجالسة الأخيار.

7-أخي المسلم : لا تنس أن أقيح عيب للمعاصي، أن العاصي معاند لربه سبحانه.. متمرد على طاعته ! فتلجعل أخي المسلم طاعة الله شعاراً في حياتك.. حتى تفوز بالخيرات في الدنيا والآخرة .
والله اعلم وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم .

الفوائد :

1-الزلل المراد هنا عدم الثبات على طاعة الله ورسوله بفعل الأمر وترك النهي بتزيين الشيطان ذلك للعبد حتى يقع في الضرر.
2-وجوب توقع العقوبة عند ظهور المعاصي العظام لئلا يكون أمن من مكر الله. إذ حصول الأمن لازمه الاستمرار على المعاصي وعدم التوبة، والله يقول: { أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ } .

3-ما من مستحل حراماً، أو تارك واجباً إلا وهو متبع للشيطان في ذلك.

4-تحذير لهم من اتباع الشيطان والسير في ما يزينه وتنبية إلى أنه عدو شديد العداء لهم لا يمكن أن يوسوس إلا بما فيه إثمهم وضررهم.

5-وقوله: (مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ) قطع لعذرهم حتى لا يقولوا يوم الحساب إننا زللنا لأننا لا نعرف الحق من الباطل.

6- أن عقوبة العالم بالذنوب أعظم من عقوبة الجاهل به.

7-أن الإسلام الذي دعيت إليه هو الحق.

8-ما أصاب الناس من ضُرٍّ وضيق في كل مجال من المجالات فردياً كان أو جماعياً إنما بسبب معاصيهم وإهمالهم لأوامر الله عز وجل، ونسيانهم شريعته.

9-اقتضت حكمة الله تعالى واتصافه بصفات المغفرة والرحمة أن يقع العباد في الذنوب والآثام، ثم يرجعون إلى الله مقبلين تائبين فيغفر لهم ويتجاوز عنهم بمنه وكرمه، ولو شاء الله لآمن من في الأرض أجمعين ولهدى الناس كلهم، لكن حكمته اقتضت أن يملأ الجنة والنار من خلقه.

10-المؤمن الصادق في إيمانه مع ذلك كله يدرك خطورة المعصية وشناعتها وأنها جراءة على مولاه، فإذا وقع فيها تحت ضعف بشري واقعها واقعة ذليل خائف يتمنى ذلك اليوم الذي يفارق فيه الذنب ويتخلص من شؤم المعصية.